أبطال أرض الفيروز

تقديم :

السيدة سوزان مبارك

بقلم

يعقوب الشاروني

رسوم وإخراج

عبد الرحمن نور الدين



الكتاب الحائز على جائزة الإبداع
الأدبي والفني من القوات المسلحة
بمناسبة اليوبيل الفضي لنصر أكتوبر

الطبعة الثانية

تلك الحرب الظافرة وذكرياتها العظيمة

بقلم: السيدة الفاضلة سوزان مبارك

سوف تبقى معركة أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة علامة مضيئة فى تاريخنا القومى.. بما تُجَسِّده من معان رائعة، وما تعكسه من آثار خالدة لن تغيب عن أجيالنا المقبلة، إذ استطاع أبناء مصر البواسل اجتياح أكبر مانع مائى عرفه التاريخ، واجتياز أصعب الحواجز التى عرفتها الحروب، وحرَّر المصرى ترابه المقدس، وأعاد لأُمَّته العربية كرامتها، واسترد أرضه الغالية.

لذلك كان ضروريًا أن نضع تلك الحرب الظافرة وذكرياتها العظيمة أمام أبنائنا وبناتنا، حتى يعرفوا صمود آبائهم ونضال شعبهم، الذى لا يُفرِّط فى حريته، ولا يتنازل عن حقه.

وهذه المجموعة القصصية «أبطال أرض الفيروز» هى نموذج ممتاز لذلك النوع من القصص الوطنية القصيرة، التى تحكى عن فترة مشرقة من تاريخنا البطولى العظيم.

وإنى أتمنى أن أرى مزيدًا من الكتب التى تتحدث إلى الأجيال الصاعدة عن حرب أكتوبر الظافرة.

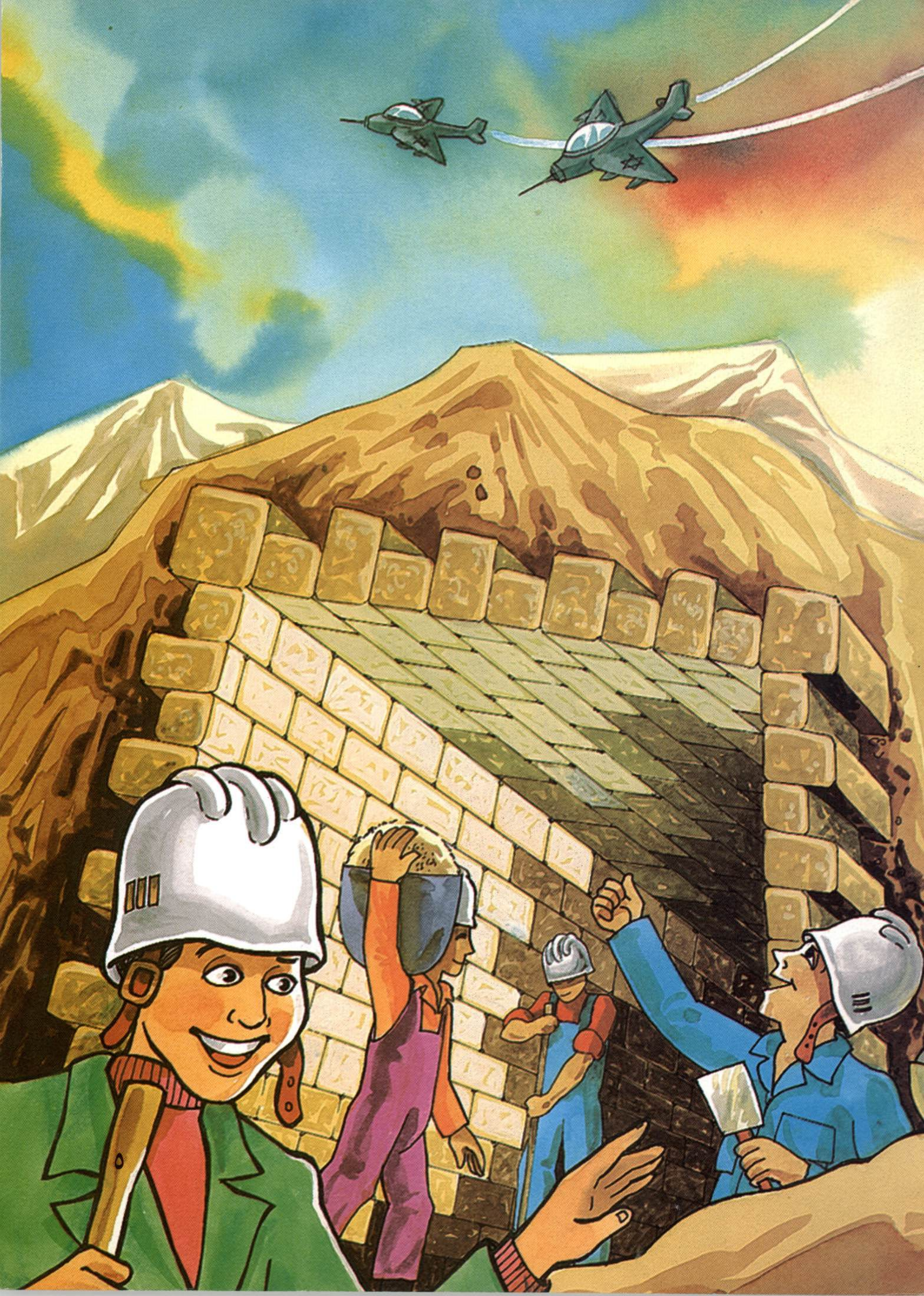
وسوف تبقى مصر دائمًا شامخة بأبنائها وبطولاتهم على امتداد تاريخها الطويل .



عمال فى قاعدة

فى أحَدِ مَوَاقِع بنَاءِ قَوَاعِدِ الصَّوَاريخ المُضَادَّةِ للطَّائِراتِ، أثْنَاءَ حَرْبِ الاسْتِنْزافِ الَّتِى سَبَقَت انْتِصارَ أكْتُوبَر سنةَ ١٩٧٣، بَدَأَتِ الطَّائِراتُ المُعَادِيَةُ تُلْقِى بقَذَائِفِهَا عَلَى العُمَّالِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُومُونَ بالبنَاءِ، حَتَّى لاَ يَتَمَكَّنُوا مِنْ إتْمامِ العَمَلِ. لَكِنَّ عُمَّالَ البنَاءِ المِصْرِيِّينَ لَم تُرْهِبْهُمْ قَنَابلُ النَّابَالْم الحَارِقَة، ولاَ قَذَائِفُ الألْفِ رَطْلٍ المُدَمِّرَةُ الَّتِى كانَتْ تُلْقَى عَلَى مَنَاطِقِ العَمَلِ، وَلا رَشَّاشَاتُ الطَّائِراتِ المُعَادِيَةِ، بَلْ كَانُوا يَحْتَمُونَ بأىِّ شَىْءٍ حَتَّى تَبْتَعِدَ الطَّائِراتُ، ثُم يَعُودُونَ لِمواصَلَةِ العَمَل لَيْلاً وَنَهَاراً دُونَ خَوْفٍ أوْ فَزَعٍ.

وكانَتِ التَّعْليماتُ تَتَطَلَّبُ أن يَتِمَّ العَمَلُ فِى إقَامَةِ القَواعِدِ لَيْلاً وَفِى حِمَايَةِ الظَّلاَم. إلاَّ أنَّ عُمَّال البنَاءِ أصرُّوا عَلَى إنْجَاز العَمَل فى أقَلِّ وَقْتٍ، فَواصَلُوا حَتَّى بالنَّهار أيضًا، إلى أنْ تَمَّتْ إقَامَة قواعدِ الصَّوَاريخِ قَبْلَ مَوَاعِيدِهَا المُحَدَّدَة.



إرادة الله

فى لَيْلَة الثَّالِثِ مِنْ أكْتُوبَر سنةَ ١٩٧٣، وَقبْل بدْءِ المعْركَة بثلاثة أيام، انْطَلَقت السَّيَّاراتُ الَّتِى تَحْمِلُ مُعدَّاتِ العُبُور وَأجْزَاء الكَبَارى، على الطَّريقِ إلَى مِنْطَقَة قَنَاةِ السُّوَيْسِ. وكانَ الظَّلامُ حالِكًا، فَاضْطُرَّتِ السَّيَّاراتُ إلَى إضَاءَةِ أنْوارهَا. وكانَ مِنَ المُمْكِنِ أنْ يكْتَشِفَها العَدُوُّ، خَاصَّةً وأنَّ الطَّابُورَ المُتحَرِّكَ يَضُمُّ أكْثَر مِنْ مِائَتَى سَيَّارَةٍ. لَكِنْ فَجْأَةً، انْتَشَرَ ضَبابٌ كَثِيفٌ غَطَّى المِنْطَقَةَ بأكْمَلِها وَتَعذَّرَتِ الرُّؤْيَةُ، وَبذلك وَصَلَتِ



السَّيَّاراتُ إلَى المَناطِقِ المُحدَّدَةِ لهَا، وتَمَّ وَضْعُ المُعِدَّاتِ فى الحُفَرِ والأمَاكِنِ المُخصَّصَةِ دُونَ أنْ يراهَا العَدُوُّ.

وقُبَيْلَ الفَجرِ فى نَفْسِ اللَّيلَة، تَحرَّكَتْ سَيَّاراتُ نَقْلٍ تحمِلُ شِبَاكَ تَمويهٍ، مخصَّصَة لإخْفَاءِ المُعِدَّاتِ الَّتى تُوضَعُ فى الأراضى الزِّراعِيَّةِ. وكانَ مِنَ المُمْكِنِ أنْ تَكْتَشِفَ دَوْرِيَّاتُ اسْتِطْلاعِ العَدُوِّ الَّتى تَبْدَأُ مَعَ أوَّلِ ضَوْءٍ لِلنَّهار، وُصُولَ هذه المُعِدَّاتِ. لَكنْ قَبْلَ ظُهُور أوَّلِ ضَوْءٍ، هَبَّتْ عَاصِفَةٌ رَمْلِيَّةٌ غَطَّتِ المِنْطَقَةَ كُلَّها، وجَعَلَتِ الرُّؤْيَةَ مُتَعَذِّرَةً. ولَمْ تَتَوقَّفْ هَذِهِ العَاصِفَةُ إلاَّ بَعْدَ وُصُولِ شِبَاكِ التَّمْويهِ وإخْفَاءِ المُعِدَّاتِ.

رَفَعَ القَائِدُ المُهَنْدِسُ وَجْهَه إلَى السَّماءِ قَائلاً: «سُبْحانَ الله».. ثُمَّ الْتَفَتَ إلَى مَنْ حَوْلَهُ وهُوَ يُرَدِّدُ: «إنَّها إرادَةُ الله الَّتى سَتَرَتْ هَذَا العَمَلَ. إنَّ انْتِشَارَ الضَّبَابِ وهُبُوبَ العَاصِفَةِ الرَّمْلِيةِ مَعًا، وفِى نَفْسِ اللَّيْلَةِ، لاَ يُمْكِن أنْ يَكُونَ صُدْفَةً!!».

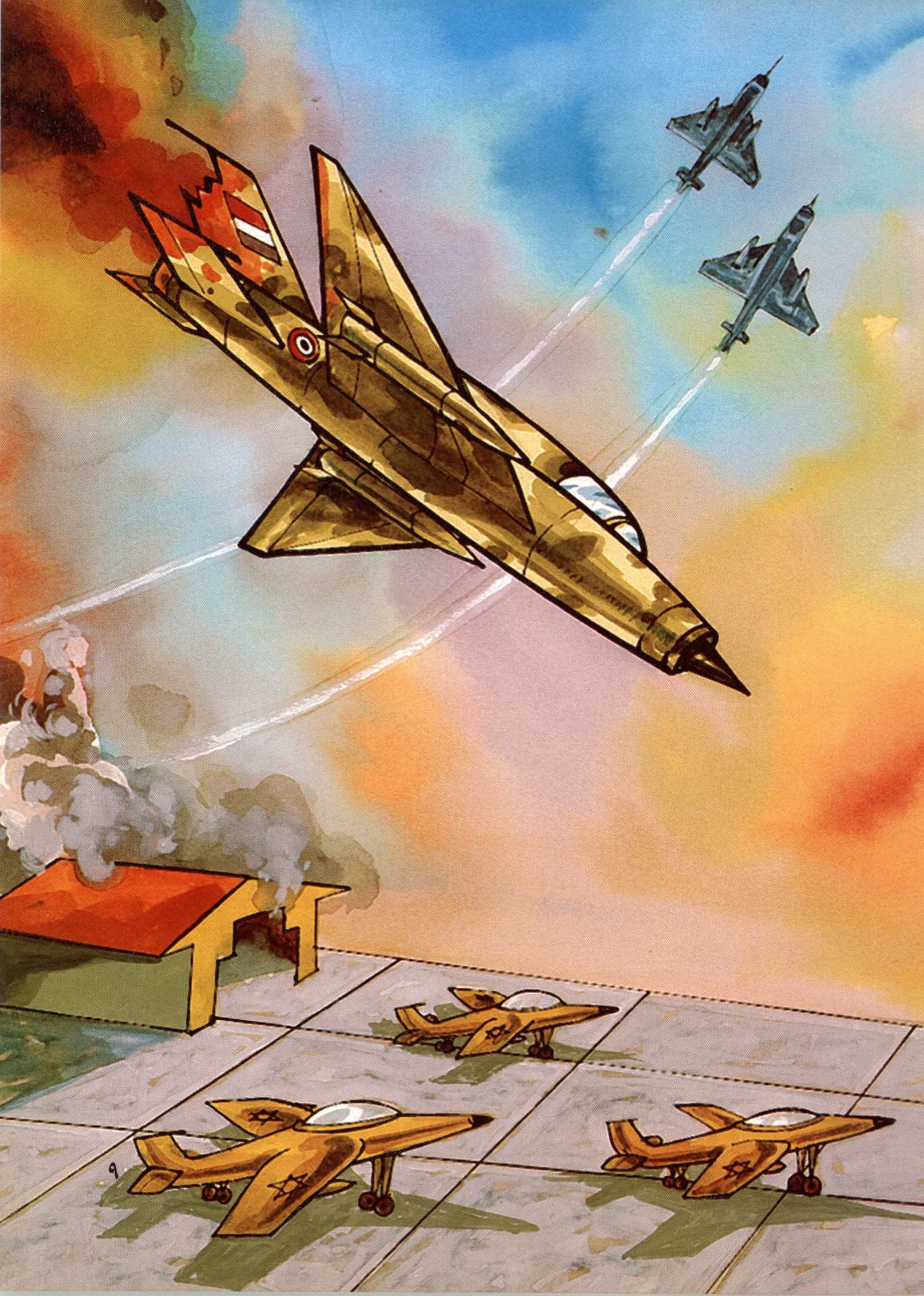


المهمة الأخيرة

قَالَ قَائِدُ أَحَدِ التَّشْكِيلاَتِ الجَوِّيَّةِ، الَّتِى مَهَّدَتْ لانْتِصَار أَكْتُوبَرَ العَظِيمِ: «كانَت الْمُهِمَّةُ الْمُحَدَّدَةُ لتَشْكِيلِنَا، أَنْ نَقُومَ بِمُهَاجَمِة أحَدِ مَطاراتِ العَدُوِّ الرَّئِيسِيةِ، التيِ تَضُمُّ عَدَداً كبيراً منْ طَائِراتِ الفَانْتُوم وَالميرَاج. وَتَوجَّهَ تَشْكيِلُنَا إلَى الهَدَفِ فِى المَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ. وبَدأْنَا الانْقِضَاضَ عَلَى الطَّائِراتَ الْمُسْتَقِرةِ على الأَرضِ. وبَعْدَ أَوَّل هَجْمَةٍ، سَمِعْتُ قَائِدَ إحْدَى طَائَراتِنا يُخْطِرُنَا باللاَّسِلْكِى أنَّ طَائِرَتَه أُصِيبَتْ إصَابَةً مُبَاشرَةً وَأنَّ النَّار مُشْتَعلةٌ فِيها، فَأَمَرْتُهُ أنْ يَقْفِزَ بالمِظَلَّةِ.

لَكِنَّنِى فَجْأَةً سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « إنَّنى أرَى ثَلاَثَ طَائِرَاتٍ تَتَحَرَّكُ عَلَى أَرْضِ الْمَطَار مُتَّجِهَةً إلَى مَمَرِّ الطَّيَران.. سَأُدَمِّرُهَا.. الله أكْبَرُ.. الله أكْبَرُ.. الله أكْبَرُ..».

وَانْقَضَّ البَطَلُ مُنْدَفِعًا بطَائِرته فِى اتِّجاهِ طَائِرَاتِ الفَانْتُوم الثَّلاَثِ عَلَى المَمَرِّ، وَاصطَدَمَ بهَا، ودَمَّرَهَا بمَنْ فِيهَا.. وَاسْتُشْهِدَ البَطَلُ بَعْدَ أن أدَّى مُهِمَّتَهُ الأخِيرةَ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ.



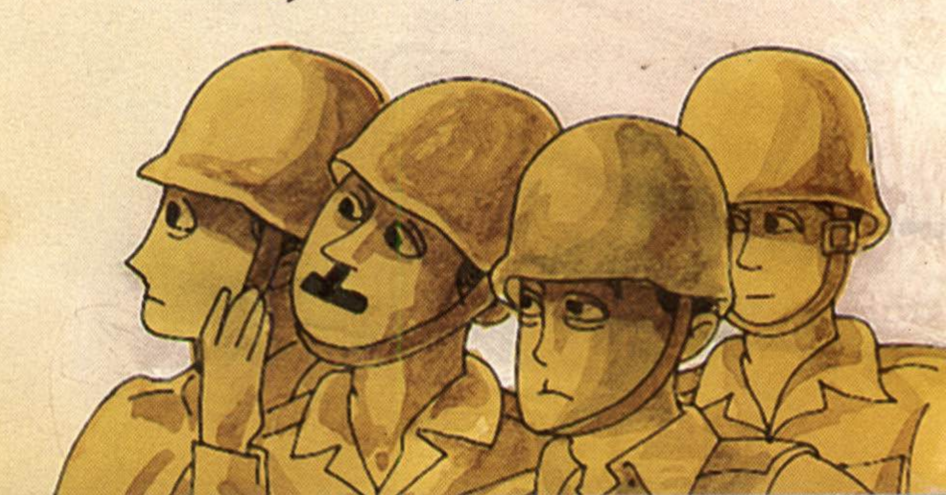
بطولةُ شهيد

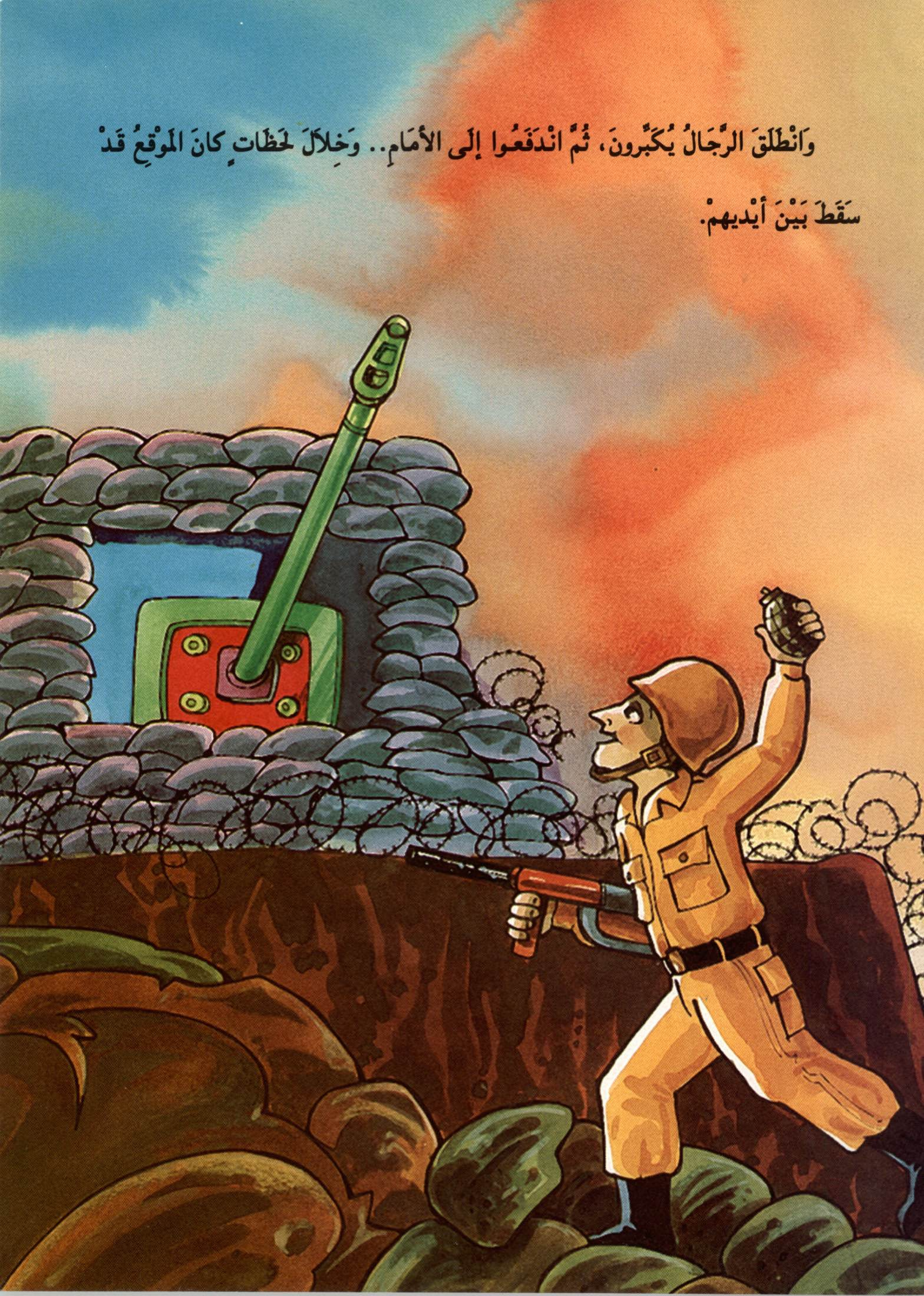
كانَتْ مَجْمُوعَةُ المُشَاةِ تَتَقَدَّمُ فِى قَوَارِبِهَا فَوْقَ سَطْحِ مِيَاهِ قَنَاةِ السُّوَيْس، فِى حِمَايَةِ نيرَانِ المِدْفَعِيَّةِ وَالدَّبَّابات، تَقْتَحِمُ القَنَاةَ لِلاسْتِيلاَءِ عَلَى أحَدِ مَواقِعِ خَطِّ بَارلِيف. وَعِنْدَمَا وَصلَتِ المَجْمُوعَةُ إلَى الشَّاطِىءِ الشَّرْقِىِّ لِلقَنَاةِ، انْهَمَرَتْ عَلَيْهِمْ نِيرانُ رَشَّاشَاتِ العَدُوِّ. وَانْبَطَحَ الجَمِيعُ عَلَى الأرْض يُبَادِلُونَ العَدُوَّ النِّيرانَ. لَكِنَّ العَدُوَّ وَاصَلَ إطْلاَقَ نيرانِهِ فِى كُلِّ اتِّجَاهٍ، مُحَاوِلاً وَقْفَ الزَّحْفِ الهَائِلِ.

وَفَجْأةً شَاهَدَتْ إحْدَى المَجْمُوعَاتِ أحَدَ أفْرادِهَا يَنْظُرُ إلَى الأمَام، ثُمَّ إلَى أفْرَادِ المَجْمُوعَةِ، ويَقُولُ لَهُمْ: «انْتَظِرُوا، وَاسْتَعِدُّوا، ثُمَّ تَقَدَّمُوا مِنْ بَعْدِى»..

وَانْدَفَعَ كَالصَّارُوخِ يَجْرِى فِى اتِّجَاهِ فُتْحَةِ أحَدِ المَدَافِعِ فِى المَوْقِعِ المُعَادِى ، ثُمَّ ألْقَى بِجِسْمِهِ فَوْقَ الفُتْحَةِ.

وَقَبْلَ أن يَلْفِظَ أنْفَاسَهُ الأخِيرَة، كانَ قَدْ دَفَعَ بِيَدِهِ قُنْبُلَةً يَدَوِيَّةً داخِلَ المَوْقِعِ.. وَدَوَّى انْفِجَارٌ هَائِلٌ.. لَقَدِ انْفَجَرَ المَوْقِعُ!





وَانْطَلَقَ الرِّجَالُ يُكَبِّرونَ، ثُمَّ انْدَفَعُوا إلَى الأمَامِ.. وَخِلاَلَ لَحَظَاتٍ كانَ المَوْقِعُ قَدْ سَقَطَ بَيْنَ أيْديهِمْ.

الأيدى المُرتعشةُ

أثْنَاءَ الهُجُومِ علىَ أحَدِ مَخَابىء العَدُوِّ الحَصينَةِ، خِلاَلَ حَرْبِ أكْتوبَرَ المَجِيدَة، قامَ المُقَاتِلُ مَحْمُودٌ، وَهُوَ منْ أفْرَادِ مَجْمُوعَةِ الاسْتطْلاعِ، بتَصرُّفٍ يَدُلُّ علَى الشَّجَاعَة الفَائِقَةِ وَالذكَاءِ الحَادِّ.

فَأثْنَاءَ تَبَادُلِ الرَّصَاصِ مَعَ قُوَّةِ العَدُوِّ فِى الحِصْنِ، لاَحَظَ مَحْمُودٌ أنَّ إحدى فَتحَاتِ الحِصْنِ خَالِيَةٌ منْ أفْرَادِ العَدُوِّ، فَانْدَفَعَ بلاَ تَرَدُّدٍ، وقَفَزَ بِسلاحِهِ مِنَ الفُتْحَةِ إلَى الدَّاخلِ، لِيجدَ نَفْسَهُ وَسَطَ الحِصْنِ. وَبِسُرْعَةٍ نَادَى عَلى أفْرَادِ العَدُوِّ باللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ بمَا مَعْنَاهُ: «ارفَعُوا أيْديَكُمْ إلَى أعْلَى. وإيَّاكُمْ أنْ يَتحَرَّكَ أحَدٌ..»، وكَانَتْ لَهْجَتُهُ قَوِيَّةً حَاسِمَةً، وَيَدُهُ على زنَادِ بُنْدُقِيَّتِهِ سَرِيعَةِ الطَّلَقَات، وَيَدُهُ الأُخْرَى تُمْسِكُ بقُنْبُلةٍ يَدَويَّةٍ جَاهِزَةٍ لِلانْفجَار فِى جُزْءٍ مِنَ الثَّانِيَةِ.

رَفَعَ الجَمِيعُ أيْدِيَهمْ إلَى أعلَى... وَأمَرَ مَحْمُودٌ أحَدَهُمْ بفَتْحِ البَابِ الفُولاَذِىِّ للْحِصْنِ، ثُمَّ انْطَلَقَ صَوْتُهُ بقُوَّةٍ رَهِيبَةٍ مُنَاديًا عَلى زُمَلاَئِهِ فِى الخَارِج، لِيهْجِمُوا على المَدْخَل، وَيَتَسلَّمُوا الأسْرَى الَّذِينَ ظَلَّتْ أيْديهمْ تَرْتَعِشُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ.

وَبِهَذِهِ الجُرْأَةِ وَالذَّكَاءِ، اسْتَوْلَى المُقَاتِلُونَ المِصْرِيُّونَ عَلَى النُّقْطَةِ الحَصِينَةِ، وَبِذَلِكَ وَفَّرَ المُقَاتِلُ مَحْمُودٌ، بِشَجَاعَتِهِ وَذَكَائِهِ، الكَثِيرَ جِداً مِنَ الجُهْدِ وَ العَرَقِ وَالدَّمِ عَلَى زُمَلائِهِ.



علم مصر

فِى أحَدِ المَوَاقِعِ بالقَنْطَرةِ زَحَفَ مُقَاتِلٌ وعَلَمُ مِصْرَ علَى صَدْرِهِ وبَدأ يتَّجِهُ إلى التَّبَّةِ المُرْتَفِعةِ الَّتِى ثبَّتَ عَلَيْها العَدُوُّ عَلمَهُ.

ومَا إنْ وَصَل إلَى قِمَّتِهَا، حَتَّى جَذَبَ عَلَمَ العَدُو بكُلِّ احْتِقَارٍ وغَيْظٍ، وَ ألقَى بهِ عَلَى الأرْضِ، وَراحَ يُثَبِّتُ الصَّارِىَ لِيرْفَعَ عَلَيْهِ علمَ مِصْرَ.

فِى هَذِهِ اللَّحْظَةِ، شاهَدَهُ جُنُودُ العَدُوِّ، فَجُنَّ جُنُونُهمْ، وَصَوَّبُوا إلَيْهِ طَلَقَاتٍ مُتَتَالِيةً مِنْ مَدَافِعِهمُ الرَّشَّاشَةِ، فَاسْتَطَاعَ تَفادِيَهَا، وأصَرَّ على مُواصَلَةِ مُهِمَّتِهِ، لِيُرفرفَ عَلَمُ مِصْرَ فَوْقَ التَّبَّةِ .

وَعادَتِ الطَّلَقَاتُ المُتَتالِيةُ تنْهَالُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأصَابَتْهُ، وَسَقَطَ البَطَلُ الشَّهِيدُ ويَدَاهُ قابضَتَان على الصَّارِى.

لَكِنَّ زَمِيلاً لَهُ شَاهَدَهُ، فَأطْلَقَ فِى الحَالِ قُنْبُلَةَ دُخَانٍ حَجَبَتْ مَكَانَهُ عَنِ العَدُوِّ، وَتَقَدَّمَ زَاحِفًا حَتَّى وَصَلَ إلَى مَكَانِ الشَّهِيدِ، وَفَكَّ قَبضَتَهُ مِنَ عَلَى الصَّارِى، وأكْمَلَ رَفْعَ العَلَمِ ، بَيْنَمَا خَفَّتِ الطَّلَقَاتُ مِنْ حَوْلِهِ بَعْدَمَا هَجَمَ رِفَاقُهُ عَلَى



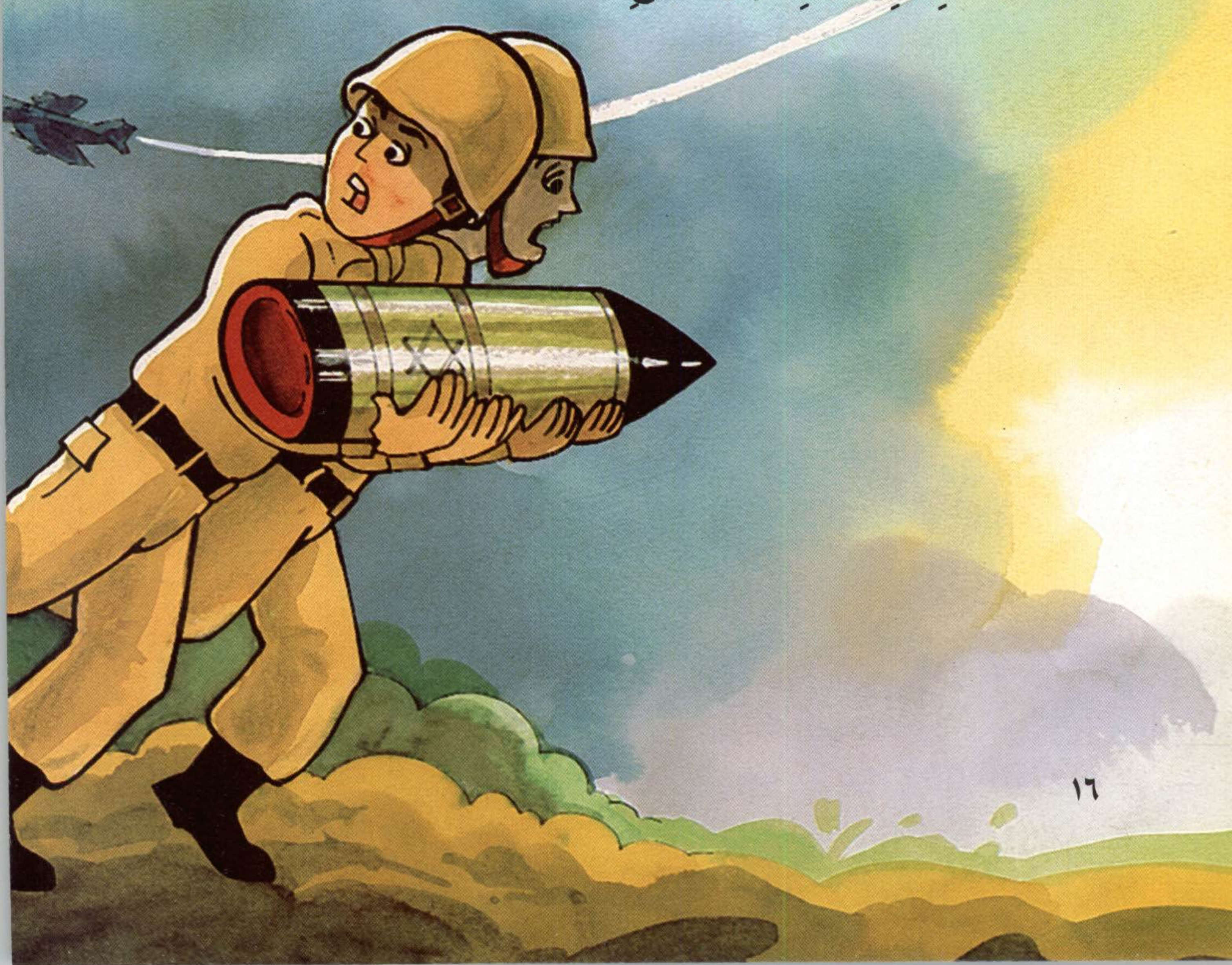
المَوْقِع الَّذِى كَانَتْ تَنْطَلقُ مِنْهُ تِلْكَ الطَّلَقَاتُ، واسْتَوْلواْ علَيْه، وَ أَسَرُوا مَنْ فيه.

وَوَقفَ الجَميعُ بِجِوَار الشَّهيدِ فِى ظِلِّ العَلَم يُكَبِّرُونَ :

« اللَّهُ أكْبَرُ » .

قنبلة فوق المطار

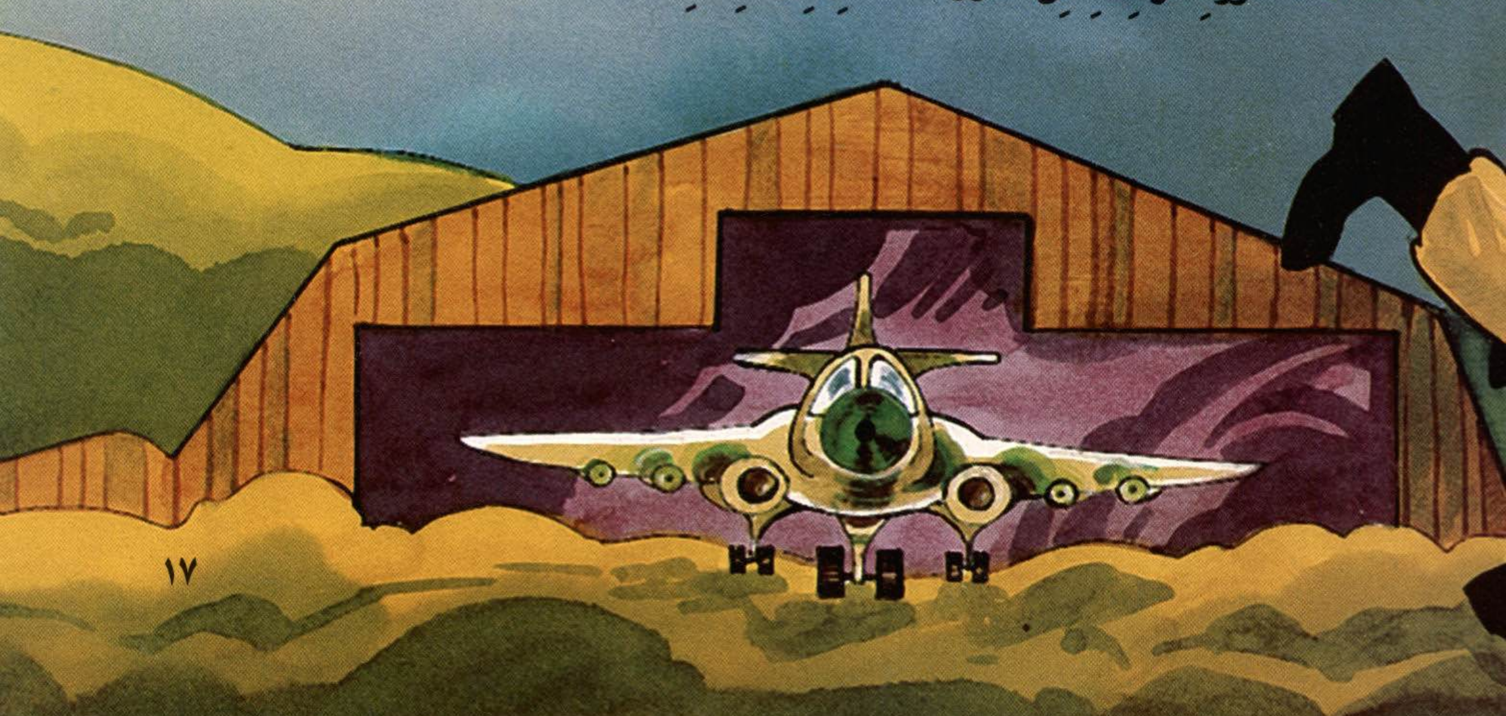
أثْنَاءَ غَارَةٍ جَوِّيَّةٍ فَوْقَ أحَدِ المَطاراتِ، خِلالَ حَرْبِ أكْتوبرِ المَجيدَةِ، سَقَطَتْ قُنْبُلَةٌ فَوْقَ إحْدَى حَظَائِرِ الطَّائِرَاتِ. وَكَانَ دَاخِلَ الحَظِيرَةِ طَائِرَةٌ تَسْتَعِدُّ لِلخُرُوجِ، لِلاشْتِراكِ فِى مَعْرَكَةٍ جَوِّيَّةٍ حَاسِمَةٍ. وَشَاهَدَ المَوْجُودُونَ فِى المَطَارِ القُنْبُلَةَ تَتَدَحْرَجُ مِنْ فَوْقِ سَطْحِ الحَظِيرَةِ بِبُطْءٍ، فِى اتِّجَاهِ مَدْخَلِهَا المَفْتُوحِ، بَيْنَمَا الطَّيَّارُ يَجْلِسُ فِى طَائِرَتِهِ، وَمُحَرِّكَاتُهَا دَائِرَةٌ فِى طَرِيقِهَا إِلَى الخُرُوجِ.



وَفِى ثَوَانٍ وَبِغَيْـر تَرَدُّدٍ ، انْدَفَعَ مُقَاتِلٌ بَطَلٌ، وأَمْـسَكَ القُنْبُلَةَ واحْتَـضَنَهَا، وَ هُوَ يُحَاوِلُ أنْ يَحْمِلَهَا لِيَجْرِىَ بِهَا بَعِيداً، لَكِنَّهُ وَجَدهَا ثَقِيلَةً جِداً. وَفِى سُرْعَةٍ تَقَدَّمَ بَطَلُ آخَرُ نَحْوَهُ، وَحَمل الاثْنَانِ القُنْبُلَةَ، وكُلُّ العُيُون تُحَمْلِقُ فِيهِمَا فِى فَزَعٍ.. كَانَ الخَطَرُ السَّاحِقُ يَتَرَبَّصُ بهمَا بَيْنَ لحْظَةٍ وَأُخْرَى، فَالكُلُّ يعْلَمُ أنَّ تِلْكَ القَنَابلَ يُمْكِنُ أنْ تَنْفَجِرَ فِى أيَّةِ لحْظَةٍ. وَجَرَى الاثْنَانِ وَابْتَـعَـدَا عَنْ كُلِّ الأَمَـاكِنِ الهَـامَّـةِ بالقَـاعِـدَةِ الجَـوِّيَّةِ. وَهُنَاكَ، بَعِيداً، قَاما بإلْقَاءِ القُنْبُلَةِ.

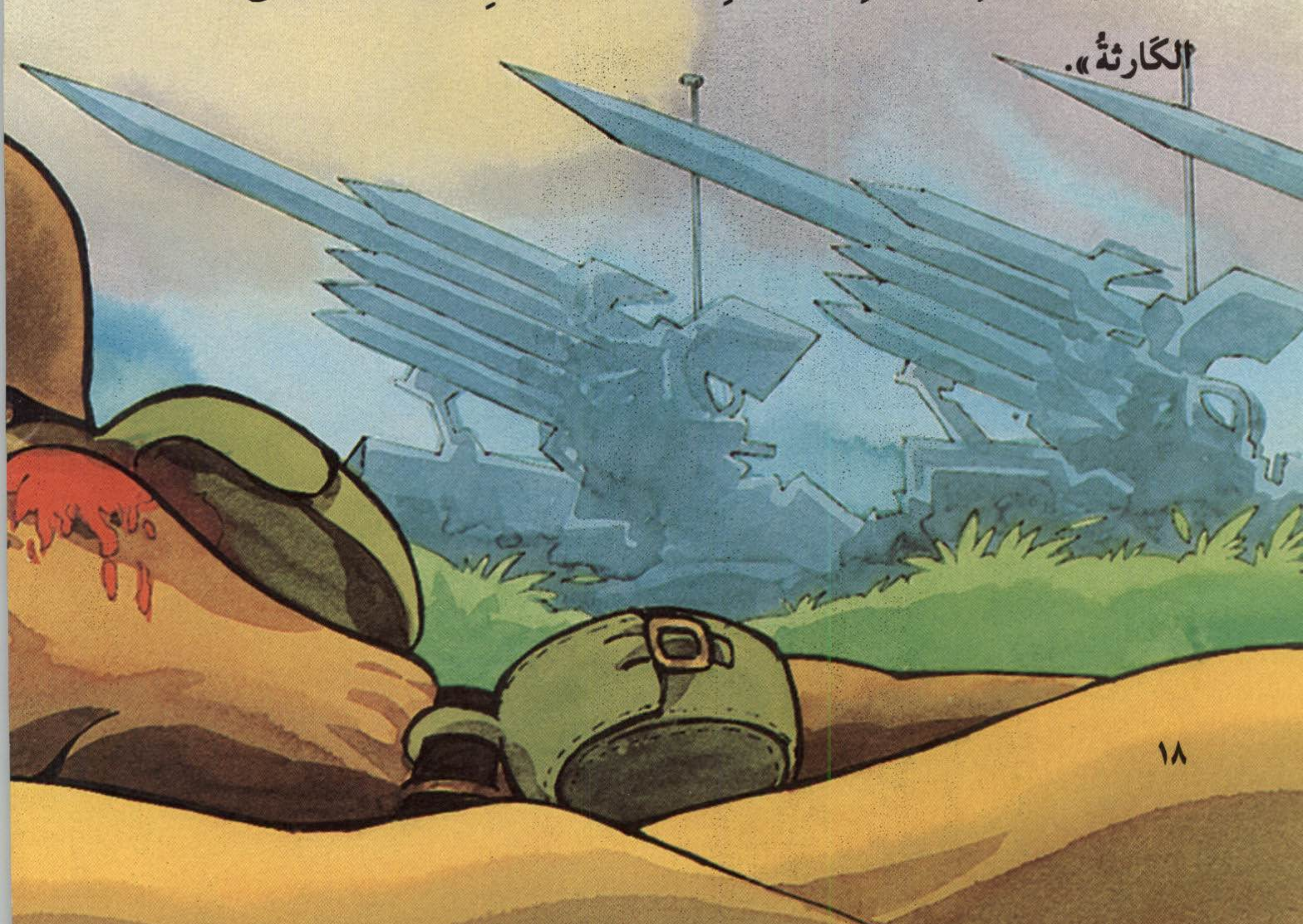
ثُمَّ انْبَطَحَا عَلَى الأرْض. وَلَمْ تَمْضِ ثَوَانٍ قَلِيلَةٌ حَتَّى انْفَجَرَتِ القُنْبُلةُ، لَكِنَّهَا لَمْ تُصِبْ شَيْئًا ولاَ أحَداً.

وَتحَرَّكَتِ الطَّائِرَةُ خَارجَةً مِنَ الحَظِيرَةِ، وَالدُّمُوعُ تَتَرَقْرَقُ فِى عَيْنَى الطَّيَّار، تَقْدِيراً لتلْكَ الصُّورَةِ الرَّائِعَةِ مِنْ صُوَر التَّضْحِيَةِ وَالفِدَاءِ.



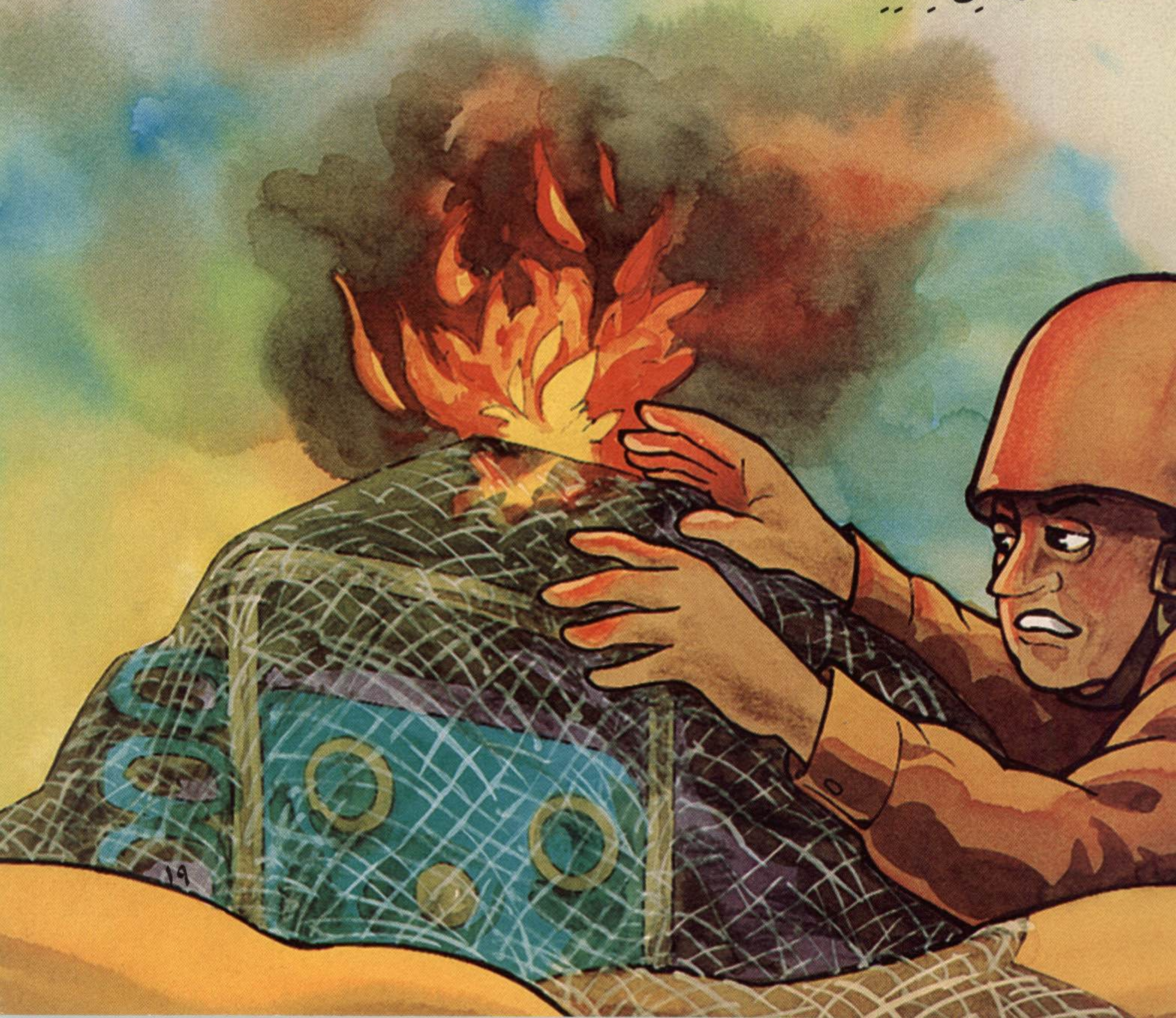
نار فى الشبكة

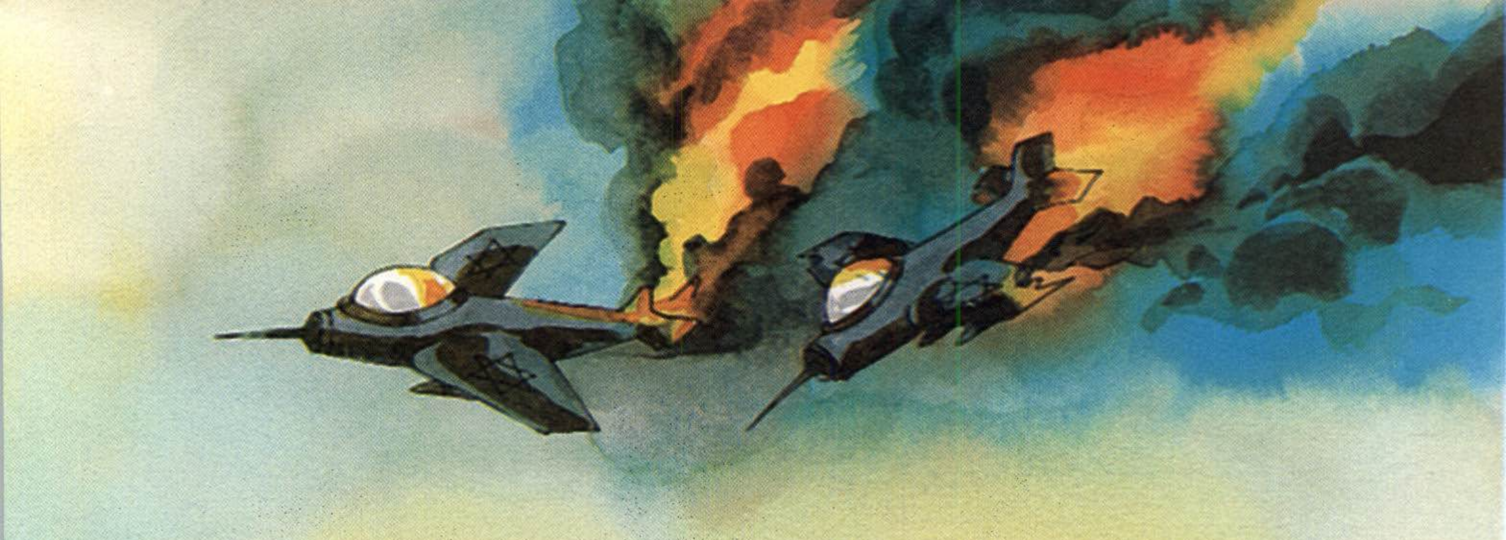
فِى أَحَدِ مَواقعِ الصَّواريخِ المُضَادَّةِ لِلطَّائِرَاتِ، دوَّى انْفجارٌ رَهِيبٌ، هَزَّ أرْكَانَ المَوْقعِ. وَاحْتَمَى المُقَاتِلُ «الزَّهَّارُ» بكَوْمَةٍ مِنَ الرِّمَالِ، وقَدِ اسْتَقَرَّتْ شَظِيَّةٌ فِى كَتِفِهِ الأَيْمَن، وَأخْرَى فِى ذِرَاعِـهِ الأيْمَنِ، فَأسْرَعَ يَدْفِنُ نَفْسَهُ فِى الرِّمَالِ لِيَبْتَعِدَ عَنْ أىِّ شَظَايَا أخْرَى، لَكنَّه سَرْعَانَ مَانَهضَ مِن انبطَاحِهِ، وَأسْرَعَ نَحْوَ شَبَكَةٍ تُغَطِّى جِهَازَ تَوْلِيدِ الكَهْرَبَاءِ لِتُخْفِيهُ عَن العُيُونِ، وَألْقَى بجَسدِهِ فَوْقَ النِّيرَانِ الَّتِى أمْسَكَتْ بأطْرَافِ الشَّبَكَةِ وَهُوَ يصِيحُ: «أطْفِئُوا النِّيرَانَ.. أطْفِئُوا النِّيرَانَ حتَّى لاَتَحْدُثُ الكَارِثَةُ».



لكِنَّ بَقِيَّةَ الزُّمَلاَءِ كَانُوا مُنْهَمِكِينَ فِى إِطْلاَقِ صَوَارِيخِهِمْ ضِدَّ طَائِرَتَيْنِ مُعَادِيَتَيْنِ. وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ، كَانَتِ الطَّائِرَتَانِ قَدْ أَصْبَحَتَا حُطَامًا مُتَنَاثِرًا فِى الجَوِّ .

أَمَّا «الزَّهَّارُ»، فَقَدْ أَفْلَحَ أَيْضًا فِى إِطْفَاءِ النَّارِ الَّتِى شَبَّتْ فِى الشَّبَكَةِ، بَعْدَ صِرَاعٍ مَرِيرٍ مَعَهَا، اسْتَخْدَمَ فِيهِ كَفَّيْهِ وَذِرَاعَيْهِ وَجِسْمَهُ كُلَّهُ. وَعِنْدَمَا بَحَثَ عَنْهُ رِفَاقُهُ، وَجَدُوهُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ، فَوْقَ الرَّمَادِ الْمُتَخَلِّفِ عَنِ احْتِرَاقِ أَطْرَافِ الشَّبَكَةِ بَعْدَ إِطْفَائِهَا، وَهُوَ غَارِقٌ فِى دِمَائِهِ.

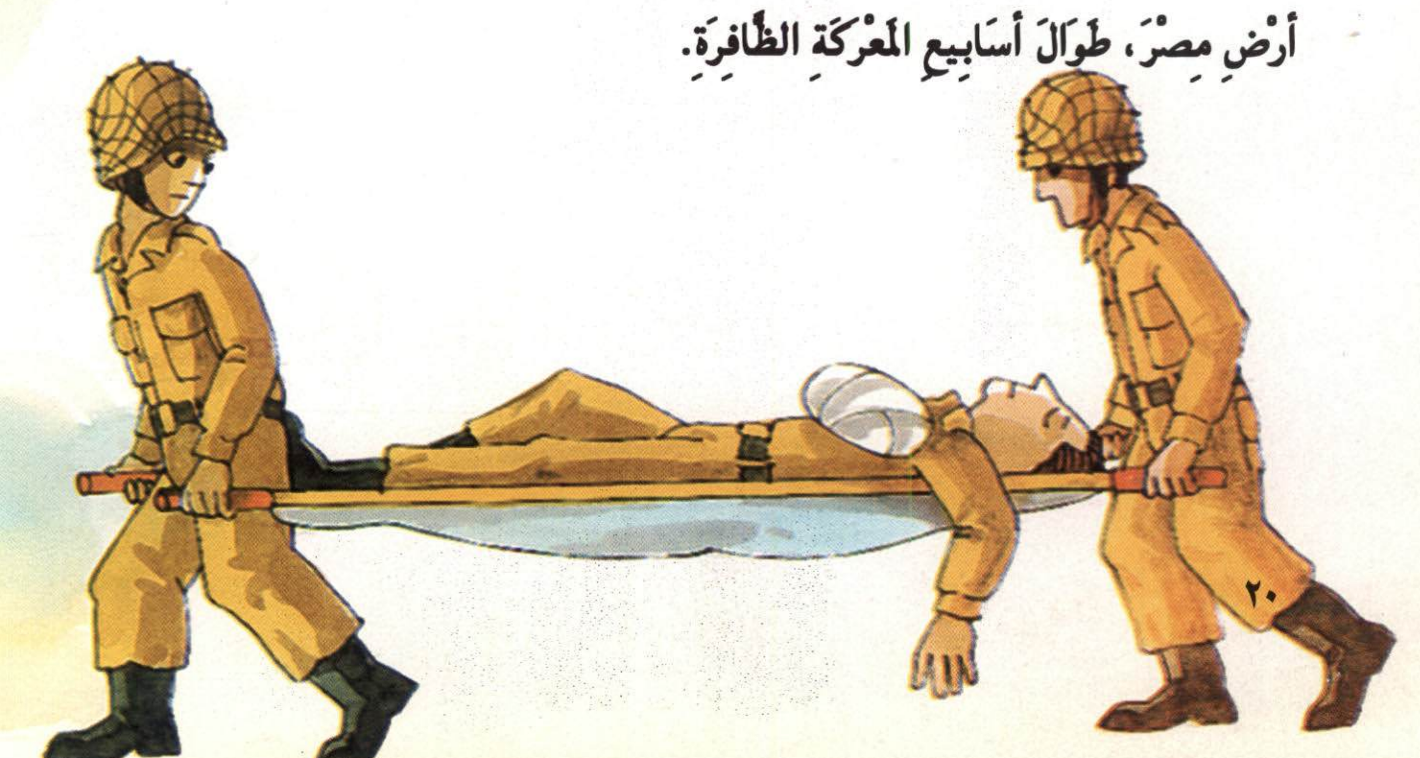




وَعِنْدَمَا كَانَ رِفَاقُهُ يَنْقُلُونَهُ إِلَى الْمَرْكَزِ الطِّبِّىِّ، كَانَ يَتَسَاءَلُ وَهُوَ لاَ يَزَالُ فِى غَيْبُوبَتِهِ: «هَلْ أَطْفَأْتُمُ النِّيرَانَ؟».

كَانَ كُلُّ هَمِّهِ، رَغْمَ إِصَابَتِهِ الْجَسِيمَةِ، إِنْقَاذَ رِفَاقِهِ وَسِلاَحِهِ مِنْ خَطَرٍ أَكِيدٍ كَانُوا سَيَتَعَرَّضُونَ لَهُ، لَوْ أَنَّ النِّيرَانَ امْتَدَّتْ إِلَى جِهَازِ تَوْلِيدِ الْكَهْرَبَاءِ، الَّذِى لَنْ تَعْمَلَ بِغَيْرِهِ كُلُّ وَحْدَةِ الصَّوَارِيخِ الْمُضَادَّةِ لِلطَّائِرَاتِ.

لَقَدْ قَامَتْ هَذِهِ الْوَحْدَةُ مَعَ كُلِّ الْوَحَدَاتِ الأُخْرَى بِدَوْرٍ أَسَاسِىٍّ فِى حِمَايَةِ كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، طَوَالَ أَسَابِيعِ الْمَعْرَكَةِ الظَّافِرَةِ.



مصير طائرتين

رَوَى أحدُ مُقَاتلينا، أنَّ صَواريخَنَا أصابَتْ طَائِرَتَىْ فَانْتُوم لِلعَدُوِّ، فَاتَّجَهَتا شرْقًا، وَسَقطَتا فِى المَواقِعِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ.

وكَانَ المُقَاتِلُ الّذِى يُتابِعُ الطَّائِرَتَيْنِ بِنَظَّارَتِهِ المَيْدَانِيَّةِ، يُشَاهِدُهُمَا بِوُضُوحٍ حَتّى ارْتَطَمَتَا بالأرْض، وَتَصَاعَدَ الدُّخَانُ فِى عَمُودَيْنِ هَائِلَيْنِ.

وَعِنْدَمَا وَجَّهَ المُقَاتِلُ المِصْرِى نَظّارَتَهُ إِلَى أحَدِ المَوَاقِعِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ بِالصُّدْفَةِ، وَجَدَ الجُنودَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ يُلْقُون بِأَسْلِحَتِهِمْ، وَيَتَمَرَّغُونَ فِى الرِّمَالِ، يَبْكُونَ كَمَدًا وَحُزْنًا، لِتَحَطُّمِ طَائِرَاتِهِمُ الغَالِيَةِ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ بِأَيْدِى رِجَالِنَا.



بطل ميدان الأربعين

لَمْ يَكُنِ الصَّبِىُّ «مُحَمَّدٌ عَبْدُ الرَّازِقِ» يَتَجَاوزُ عَامَهُ الثَّانِى عَشَرَ، خِلالَ مَعْرَكَةِ أكْتُوبرَ ١٩٧٣. وَذَاتَ يَوْمٍ، كانَ الرجَالُ مِنْ أهْلِ مَدِينَةِ السُّوَيْس، قَدْ أخَذُوا أمَاكِنَهُمْ فِى المَوَاقِعِ الَّتِى تَحَصَّنُوا بهَا، يُقَاوِمُونَ الدبَّابَاتِ الَّتِى كَانَتْ تُحَاولُ اقْتِحَامَ مَيْدَانِ «الأرْبَعِين». وَبَدَأتِ الذَّخِيرَةُ وَالطَّلَقَاتُ تَقِلُّ، وَلَمْ يَكُنْ فِى اسْتِطَاعَةِ أىِّ رجلٍ أنْ يَتْرُكَ مَكَانَهُ لإحْضَار ذَخِيرَةٍ، فَقَدْ أصْبَحَ المَيْدَانُ الَّذِى تَحَوَّلَ إلَى جَحِيمٍ مِنَ النِّيرَانِ فِى حَاجَةٍ إلَى كُلِّ رَجُلٍ.

هُنَا أسْرَعَ الصَّبِىُّ «مُحَمَّدٌ عَبْدُالرَّازِقِ»، وَانْطَلَقَ فِى خِفَّةٍ يَنْقُلُ صَنَادِيقَ الذَّخِيرَةِ وَالطَّلَقَاتِ الخَاصَّةِ بِمُقَاوَمَةِ الدبَّابات، يُوَزِّعُهَا عَلَى الرِّجَالِ فِى مَيْدانِ المَعْرَكَةِ.

وَبَعْدَ أنِ اطْمَأنَّ إلَى حُصُولِ كُلِّ مُقَاتِلٍ عَلَى كِفَايَتِهِ مِنَ الذَّخِيرَةِ، اخْتَارَ مَكَانًا احْتَمَى بِه، وَبَدَأ يُلْقِى القَنَابِلَ اليَدَوِيَّةَ دَاخِلَ أبْرَاجِ الدبَّابَاتِ المُعَادِيَةِ..

وَقَبْلَ أنْ تَنْسَحِبَ تِلْكَ الدبَّابَاتُ، كانَ هَذَا البَطَلُ الصَّغِيرُ قَدْ دَمَّرَ وَحْدَهُ ثَلاثًا مِنْهَا.



فلاحة فايد

أرادَ الضَّابِطُ أنْ يَضعَ خُطَّتَهُ لمُحاصرَةِ قُوَّاتِ العَدُوِّ الَّتِى اسْتَقَرَّتْ بِالقُرْبِ مِنْ مَوقِعِهِ، لَكِنَّهُ احْتَاجَ إلى شَخْصٍ لاَ يُثيرُ الشُّبْهَةَ يُمْكِنُهُ أنْ يَسْتَطْلِعَ قُوَّاتِ الأعْداءِ، وَيَعْرِفَ عَدَدَهَا وَأنْواعَ أسْلِحَتِهَا وَأماكِنَهَا، فَلَمْ يَجِدِ الضَّابطُ أمَامَهُ إلاَّ فَلاَّحَةً مِنْ قَرْيَةِ «فَايد»، فَكَلَّفَهَا أنْ تَقُومَ بِهَذِهِ المُهمَّةِ الخَطِيرَةِ.

وَبِذكَاءٍ، حَمَلَتِ القَرَوِيَّةُ ابْنَتَها على كَتِفِهَا، حَتَّى لاَ يُثِيرَ مَنْظَرُهَا أىَّ قَلَقٍ فِى نُفُوسِ الأعْدَاءِ، وَعَلَى رَأسِهَا قَفَصٌ بِهِ بَعْضُ الخُضْرَاوَاتِ، وَانْطَلَقَتْ تَسِيرُ كَأنَّها بَائِعَةٌ فِى طَرِيقِهَا مِنْ قَرْيَةٍ إلَى قَرْيَةٍ. كانَتْ تَشْعُرُ فِى كُلِّ لَحْظَةٍ بِالخَطَرِ الشَّدِيدِ الَّذِى يَتَهَدَّدُ حَيَاةَ ابْنَتِهَا، لَكِنَّها أحَسَّتْ أنَّهَا يَجِبُ أنْ تُؤَدِّىَ مُهمَّتَها بِنَجاحٍ، حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ سَلاَمَةِ ابْنَتِهَا وَسَلاَمَتِهَا.

وَعَادَتِ القَرَوِيَّةُ بَعْدَ أنْ قَامَتْ بِمُهمَّتِهَا خَيْرَ قِيَامٍ.

وَعِنْدَمَا أحَسَّتْ بِتَقْدِيرِ الضَّابِطِ لِقِيمَةِ المَعْلُومَاتِ الَّتِى جَمعَتْهَا، قَالَتْ: «إذَا أرَدْتَ أنْ تَشْكُرَنى، أرْجُو أنْ تُعْطِيَنِى أىَّ سِلاَحٍ يُمْكِنُ أنْ أدَمِّرَ بِهِ دَبَّابَاتِ العَدُوِّ».

ابْتَسَمَ الضَّابِطُ وَقَالَ: «يَا لَكِ مِنْ سَيِّدَةٍ عَظِيمَةٍ.. لاَ تَكْتَفِينَ بِالاسْتِطْلاَعِ، وَتَطْلُبِينَ أيْضًا الاشْتِرَاكَ فِى القِتَالِ!!».



الأبناء الثلاثة

ذَهَبَتِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ مع أَبنَائِهَا الثَّلاثَةِ وهُمْ يُسجِّلُون أَسْمَاءَهُم فِي سِجِلِّ المُتَطَوِّعِينَ لِلدِّفَاعِ عَنْ وَطَنِهِمْ، فَقِيلَ لَهَا: «ولِمَاذَا لاَ تَسْتَبْقِينَ أحدَهُمْ لِيَقُومَ بِرعَايَتِكِ؟».

قَالَتْ: «وَهَلْ تَكُونُ حَيَاتِي سَعِيدَةً إذَا هُزِمَ وَطَنِي، وَوَلَدِي إِلَى جَانِبِي؟!».

وبَعْدَ أيَّامٍ جَاءَهَا خَبَرُ اسْتِشْهَادِ أحَدِ أوْلاَدِهَا، فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهَا بِالدُّمُوعِ وَقَالَتْ: «لَقَدْ حُرِمَ وَطَنِي مِنْ جِهَادِ ابْنِي الشَّهِيدِ، ولَكِنِّي أرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي جِهَادِ أَخَوَيْهِ مايَرُدُّ العُدْوانَ عَن الوَطَنِ»..

ثُمَّ جَاءَهَا نَبَأُ اسْتِشْهَادِ وَلَدَيْهَا الآخَرَيْنِ، فَبَكَتْ بُكَاءً حَاراً، وَأقْبَلَ النَّاسُ يُعَزُّونَهَا قَائِلِينَ: «لاَ تَحْزَنِي أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ العَجُوزُ، فَقَدْ نَالَ أَبْنَاؤُكِ شَرَفَ الشَّهَادَةِ»..

قَالَتْ: «لَسْتُ أَبْكِي لأَنِّي أُمٌّ فَقَدَتْ أَبْنَاءَهَا، بَلْ لأَنَّنِي لَنْ أَسْتَطِيعَ بَعْدَ اليَوْمِ أَنْ أُقَدِّمَ لِلوَطَنِ أَوْلاَداً آخَرِينَ، يُدَافِعُونَ عَنْهُ وَيَحْمُونَهُ»..


الله

شهادة أسير

مُنْذُ بِدَايَةِ حَرْبِ أكْتُوبَرَ، أعَدَّتِ القُوَّاتُ المُسَلَّحَةُ المِصْرِيَّةُ فِي إحْدَى ضَوَاحِي مَدِينَةِ القَاهِرَةِ، مُعَسْكَرًا خَاصًا لاسْتِقْبَالِ وَإِقَامَةِ أسْرَى العَدُوِّ. وَمَعَ نِهَايَةِ أولِ يومٍ للقِتَالِ، كانَ قد تَجَمَّعَ فى هذا المعسكر حَوالَىْ مائَةِ أسيرٍ.

وَظَلَّ عَدَدُهُمْ يَتزَايَدُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ وَيَوْمًا بَعْدَ يومٍ، حَتَّى وَصَلَ عَدَدُهُمْ فِي نِهايَةِ الأسبوعِ الأَوَّلِ مِنَ المَعْرَكةِ إلَى عِدَّةِ مِئَاتٍ مِنَ الأَسْرَى.

وكانَ مِنْ بَيْنِهِمْ العرِّيفُ «دافيد»، قَائِدُ إحْدَى الدبَّابَاتِ فِى تَشْكِيلِ العَدُوِّ الَّذِى دَمَّرَتْهُ قُوَّاتُنَا كُلَّهُ. قَالَ هَذَا الأسيرُ: «شَجَاعَةُ الجُنُودِ المِصْرِيِّينَ وَقُوَّتُهم فِى عُبُورِ القَنَاةِ، كَانَتْ مُفَاجَأَةً كَبِيرَةً أذْهَلَتْنِى وَجَمِيعَ زُمَلائِى. إنَّ المُقَاتِلينَ المِصْرِّيين كَانُوا يُقَاتِلُونَ بِرُوحٍ فِدَائِيَّةٍ فريدَةٍ. وَالنِّيرانُ المِصْرِيَّةُ كانَتْ شَدِيدَةً ومُرَكَّزَةً، حتَّى إنَّنِى رَأيْتُ جَمِيعَ مَنْ حَوْلِى يَتَسَاقَطُونَ مَا بَيْنَ قَتِيلٍ وَمُصَابٍ أوْ أسِيرٍ».



إذا حضرت الملائكة

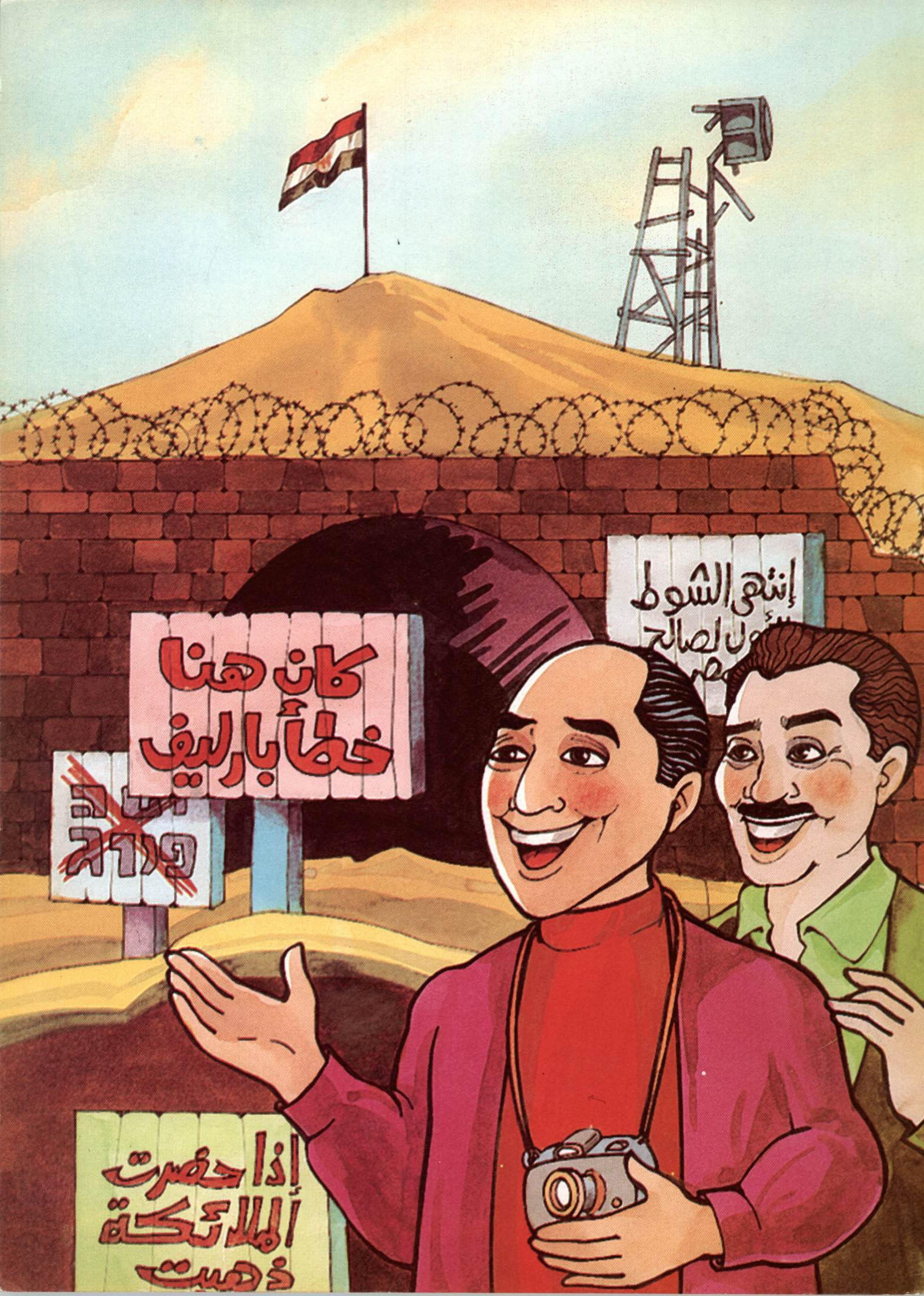
قَالَ كَاتِبٌ وَمُذِيعٌ اشْتَرَكَ فِي مَعْرَكَةِ أكْتُوبَرَ ١٩٧٣ المُنْتَصِرَةِ: «اسْتَوْقَفَتْنِي العِبَارَاتُ المَرِحَةُ السَّاخِرَةُ التِي كَتَبَهَا بَعْضُ مُقَاتِلِينَا فَوْقَ أحَدِ مَرَاكِزِ العَدُوِّ القُوِيَّةِ الَّتِي اسْتَوْلَيْنَا عَلَيْهَا».

كَتَبَ أحَدُهُمْ بِخَطٍّ جَمِيل «كَانَ هُنَاكَ خَطَأ بارْليف، ولَيْسَ خَطُّ بَارْليف».

وكَتَبَ آخَرُ: «انْتَهَى الشَّوْطُ الأوَّلُ مِنَ المُبَاراةِ لِصَالِحِ مِصْرَ ٦ ـ صِفْر».

وإلَى جَانِبِ إمْضَاءَاتٍ كَثِيرَةٍ لِلمُقَاتِلِينَ المِصْرِيِّينَ، كَتَبَ أحَدُهُمْ: «لَقَدْ اسْتَوْلَيْنَا عَلَى هَذَا المَوْقِعِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَقَطْ.. وَهَا نَحْنُ الآنَ نُسَيْطِرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا سَيْطَرَ زُمَلاؤُنَا عَلَى بَقِيَّةِ النُّقَطِ القَوِيَّةِ. أمَّا جُنُودُهُمُ الأسَاطِيرُ، فَقَدْ قُتِلُوا أوْ فَرُّوا».

وَتَحْتَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ مُبَاشَرَةً، كَتَبَ أحَدُ الزُّمَلاءِ تَعْلِيقًا عَلَيْهَا، فَقَالَ: «إذَا حَضَرَتِ المَلائِكَةُ، ذَهَبَتِ الشَّيَاطِينُ.. وَهَا نَحْنُ، أبْنَاءَ مِصْرَ، قَدْ حَضَرْنَا!!».


كان هنا
خطأ بارليف
إنتهى الشوط
لصالح
إذا حضرت
الملائكة
ذهبت



الأحداث والوقائع التى اعتمدت عليها حكايات
هذا الكتاب، تعتمد على شهادة الأساتذة :
حسين طنطاوى - حمدى الكنيسى -
حمدى لطفى - سعيد عبد الكريم -
صلاح قبضايا - عبده مباشر -
على زيكو - محمد عبد المنعم -
محمد فيصل عبد المنعم .

يعقوب الشارونى

رقم الايداع : ٢٤٣٤ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى : I.S.B.N
طبع بمطابع دار أخبار اليوم شارع الصحافة